في شهر الغفران

ضد جحافل التتار فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. وكذا حطين وجلولاء. ورمضان فيه وفيه وفيه. هذا هو رمضان الذي يجمع للصائم صحة الجسم وعلو الروح وعظمة النفس ورضاء الله قبل كل شئ وبعده.

رمضان أيها الناس. شهر الحب والوئام فكونوا أوسع صدراً وأندى لساناً وأبعد عن المخاصمة والشر. وإذا رأيتم من أهليكم زلة فيه فاحتملوها وإن وجدتم فُرجة فسدوها واصبروا عليها. وإن بادأكم أحد بالخصام فلا تقابلوه بمثله بل ليقل أحدكم: إني صائم. وإلا فكيف يرجو من يمقت ذلك أن يكون له ثواب الصائمين. وهو قد صام عن الطعام الحلال وأفطر على ماسواه من الحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري.

وإن امرأتين صامتا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكادتا أن تموتا من العطش فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض ثم ذُكرتا له فدعاهما فامرهما أن يتقيا فقاءتا ملء قدح قيحا وصديدا ولحما عبيطا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما. جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس) رواه الإمام احمد.

فلا اله إلا الله ماأعظم هذا الجرم ولا اله إلا الله ما أعظمه من انتهاك لحرمة الشهر أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

«الصوم جنة» كما قال النبى صلى الله عليه وسلم.. أي وقاية من الزلل والوقوع في الخطايا والمحرمات، وحماية من الأمراض والشرور والموبقات، وستراً من النار والعقوبات، وهكذا فقد أنعم الله علينا بالصوم لما له من فوائد عظيمة وحكم كثيرة، وآثار ونتائج جليلة لنا سواء كانت دينية روحية، أو صحية جسمانية ونفسية أو اجتماعية، أو غير ذلك من الفوائد التي لا نستطيع حصرها، وصولاً إلى الفائدة العظمى والهدف الأسمى من الصوم ألا وهو تقوى الله عز وجل، قال تعالى «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» سورة البقرة. الذي لايفهم هذا المعنى ولايسعى لتحقيقه لا حظ له من صيامه إلا الجوع: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه وفي رواية والعطش متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم «الصِّيَامُ جُنَّةٌ فاذا كان يوم صَوم احدكم فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» (رواه البخاري).

والصوم من أهم العبادات التي تعين على التقوى والتقرب إلى الله والبعد عن الرياء، فالصائم تتهذب نفسه وتتأدب وتزكو وتصفو، ويرق قلبه ويمتلئ بالإيمان واليقين، وتهدأ جوارحه، وتقوى عزائمه فيكبح جماح غرائزه، ويسيطر على شهواته، وبالتالي يكون أقرب للتقوى وأقرب للمغفرة قال سبحانه: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» سورةالطلاق – وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم الشاب الذي لا يستطيع الزواج على الصوم كوسيلة وقائية تحفظه – بإذن الله – من الوقوع في الفاحشة وما يصاحبها من شرور وأمراض وآلام فقال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب مَنِ اسْتَطَاعَ منكم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (متفق عليه).

وما ألذه من شعور يكتنف قلوبنا ونحن في أول أيام شهر الخير والبركات. فها قد أظلنا شهر الكنوز العظيمة، شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار. سيد الشهور، وميدان السباق والتنافس. يشمر فيه المشمرون، ويغتنمه العاقلون، ويفرح بقدومه المؤمنون، «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» البقرة 185.

رمضان حديقة وارفة الظلال، دانية الثمار، يدخلها المؤمنون منذ أول ليلة منه، فيقبلون بشوق وحماس ونشاط على كل ألوان العبادة والطاعات، لأنهم يعلمون ما فيه من المزايا والرحمات.

كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يهنئ أصحابه بقدوم رمضان فيقول (أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين. لله فيه ليلة خير من ألف شهر. من حرم خيرها فقد حرم) رواه النسائي، وصححه الألباني، صحيح الجامع 55.

وفي صحيح البخاري «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة) زاد مسلم (وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» وفي رواية عند مسلم (فتحت أبواب الرحمة)

وفي الحديث أيضاً «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» رواه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة وحسنه الألباني [صحيح الجامع 759].

فيالها من بشارات عظيمة. بشارات للطائعين أن يستزيدوا فأبواب الجنة مفتوحة، وبشرى للعاصين أن يرجعوا ويتوبوا فأبواب النار موصدة، والرحمات متنزلة. وبشرى للعقلاء أن يغتنموا هذا الموسم فمردة الشياطين مغلولة مصفدة.

رمضان أيها الأحباب، مدرسة للتعلم والتعليم، والتوبة والإنابة، ومحطة للتزود بالطاعات والنوافل. رمضان خلوة العابدين مع خالقهم في لياليه وأيامه، وإخلاص لله وحده في الطاعات والصيام «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصوم لي وأنا أجزي به»، ودربة للنفس على المجاهدة والصبر على الطاعات وترك العصيان.

رمضان فرصة للمغفرة، فرصة للتوبة، وغسل الأوزار والخطايا.

فيا فوز الطائعين، ويا فوز الصائمين، ويا فوز القائمين، ويا فوز التالين الذاكرين. دموع الفرحة تغمرني بقدومك يا رمضان، لأن الله قد مدّ في عمري حتى بلغني إياك، فأعلن توبتي، وأعود إلى ربي، فأستزيد من الطاعات، في حين شهدت بعيني رحيل كثير ممن فاجأهم الموت وقد كانوا يؤملون قدومك يا رمضان.

دموع الفرحة تغمرني يا رمضان، وأنا أتأمل في تلك العافية التي من الله بها عليّ لأتقوى بها على الطاعة، وأستغلها في الصيام والقيام وتلاوة القرآن والاستزادة من النوافل والقربات. في حين أن البعض قد أقعدهم المرض فأذهب عنهم لذة هذه الفرحة.

دموع الفرحة تغمرني يا رمضان، لأنني لازلت أشعر بألم تجاه رمضان الفائت، الذي مرت أيامه متسارعة ولم أحصل فيها ما أردت من الخيرات، وقد تثاقلت عن كثير من الحسنات، وفرطت في القيام والطاعات، فجئت يا رمضان لتعطيني فرصة وشحنة إيمانية لاستدراك ما فات.

فلماذا لا تدمع عيني وأنا في مثل هذا النعيم. لماذا لا تدمع عيني فرحاً وأنا أستقبل شهر الصيام والقيام والقرآن.

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»

«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» هكذا قال عليه الصلاة والسلام.

فيا من أدرك هذا الشهر، ها هو رمضان يناديك، أقبل، عد إلى ربك، فمتى ستفيق من غفلتك، ومتى ستنتبه من رقادك، ومتى ستقبل على الله إن لم تقبل الان.

ألا ترى تهجد المتهجدين، وتسمع تلاوة التالين، وبكاء الخاشعين، وأنين العائدين التائبين، واستغفار المستغفرين.

اعقد العزم أختي، واعقدي العزم أختي، على الصيام والقيام والتوبة والاستكثار من الطاعات عسى أن نكون من المقبولين المعتقين.

وفقني الله وإياك للصيام والقيام وصالح الأعمال، وبلغني وإياكم تمام الشهر، وتقبل مني ومنكم.

وقفات رمضانية

صوم رمضان محك للإرادات النفسية، وقمع للشهوات الجسمية، ورمز للتعبد من صورته العليا، ورياضة شاقة على هجر اللذائذ والطيبات، وتدريب منظم على تحمل المكروه من جوع وعطش، ونطق بحق، وسكوت عن باطل.

والصوم درس مفيد في سياسة المرء لنفسه، وتحكمه في أهوائه، وضبطه بالجد لنوازع الهزل واللغو والعبث.

وهو تربية عملية لخلق الرحمة بالعاجز المعدم؛ فلولا الصيام لما ذاق الأغنياء الواجدون ألم الجوع، ولما تصوروا ما يفعله الجوع بالجائعين.

وفي الإدراكات النفسية جوانب لا يغني فيها السماع عن الوجدان؛ فلو أن جائعاً ظل وبات على الطوى خمس ليال، ووقف خمسا أخرى يصور للأغنياء البطان ما فعله الجوع بأمعائه وأعصابه، وكان حاله أبلغ في التعبير من مقاله، لما بلغ في التأثير فيهم ما تبلغه جوعة واحدة في نفس غني مترف، ولذلك كان نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يدارسه جبريل القرآن، فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة.

رمضان نفحات إلهية تهب على العالم الأرضي في كل عام قمري مرة، وصفحة سماوية تتجلى على أهل الأرض فتجلو لهم من صفات الله عطفه وبره، ومن لطائف الإسلام حكمته وسره؛ فلينظر المسلمون أين حظهم من تلك النفحة، وأين مكانهم من تلك الصفحة. ورمضان مستشفى زماني يجد فيه كل مريض دواء دائه، حيث يستشفي فيه مرضى البخل بالإحسان، ومرضى البطنة بالجوع والعطش، ومرضى الخصاصة والجوع بالكفاية والشبع.

شهر رمضان عند الأيقاظ المتذكرين شهر التجليات الرحمانية على القلوب المؤمنة ينضحها بالرحمة، ويفيض عليها بالروح ويأخذها بالمواعظ، فإذا هي كأعواد الربيع جدة ونضرة، وطراوة وخضرة.

وإنها لحكمة أن كان شهرا قمريا لا شمسيا، ليكونَ ربيعا للنفوس، متنقلا على الفصول، فيروض النفوس على الشدة في الاعتدال، وعلى الاعتدال في الشدة، ثم إن رمضان يحرك النفوس إلى الخير، ويسكنها عن الشر، فتكون أجود بالخير من الريح المرسلة، وأبعد عن الشر من الطفولة البريئة.

ورمضان يطلق النفوس من أسر العادات، ويحررها من رق الشهوات، ويجتث منها فساد الطباع، ورعونة الغرائز، ويطوف عليها في أيامه بمحكمات الصبر، ومثبتات العزيمة، وفي لياليه بأسباب الاتصال بالله، والقرب منه.

رمضان نقطة بداية وليس خط نهاية

شهر رمضان كان فرصة للتغيير، فرصه لكسب المزيد من المهارات، ففي رمضان تعلمنا كيف ننظم الوقت نأكل في موعد محدد ونمسك عن الطعام في وقت محدد، وتتعلم منه أيضا فن الاتزان فنحن في رمضان نوازن بين غذاء الروح وغذاء البدن ففي بقية شهور السنة نركز على غذاء البدن ونهمل غذاء الروح فيحدث الكسل والفتور وعدم المقدرة على العبادة أما في رمضان فيزيد تركيزنا على غذاء الروح مثل الذكر وقيام الليل وقراءة القرآن فتنشط الروح وإذا نشطت الروح أصبح الجسد قادرا على الطاعة والزيادة فيها، ونتعلم من رمضان أيضا الصبر والمسامحة والإيثار فكثيرا ما كنت أجد على مائدة الإفطار اخوة لي قبل أن يأكل أحدهم تمرته ينظر إلى من بجانبه فان لم يجد أمامه تمرا آثره على نفسه والكثير من الأخلاق، فلماذا بعد رمضان نترك كل هذا بعد أن تعودنا عليه وعندي مثال لرجل يمتلك سيارة قام بإدخالها إلى مركز الصيانة لعمل صيانة لها وإصلاح ما فسد فيها ثم بعد أن تمت عملية الصيانة اللازمة لها وتزويدها بالبنزين أوقف السيارة ولم يستعملها ... فهل هذا معقول بعد أن أصبحت السيارة قادرة على السيرة بسرعة وبقوة يتركها.

فهذا الحال يحدث بعد رمضان فبعد أن يتم شحن بطاريات الإيمان فينا ونصبح قادرين على المضي في طريق الهداية والإيمان نتوقف ونهمل أنفسنا ونتصالح مع الشيطان ونركز على البدن في الغذاء لا على الروح والبدن معا.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.